

تفسير ابن كثير

قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَآتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ
وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ

قال العوفي ، عن ابن عباس في قوله : (قد مكر الذين من قبلهم) قال : هو نمروذ الذي بنى الصرح . قال ابن أبي حاتم : وروي عن مجاهد نحوه . وقال عبد الرزاق ، عن معمر ، عن زيد بن أسلم : أول جبار كان في الأرض نمروذ ، فبعث الله عليه بعوضة ، فدخلت في منخره ، فمكث أربعمئة سنة يضرب رأسه بالمطارق ، وأرحم الناس به من جمع يديه فضرب بهما رأسه ، وكان جبارا أربعمئة سنة ، فعذبه الله أربعمئة سنة كملكه ، ثم أماته الله . وهو الذي كان بنى صرحا إلى السماء ، وهو الذي قال الله : (فأتى الله بنيانهم من القواعد) وقال آخرون : بل هو بختنصر . وذكروا من المكر الذي حكى الله هاهنا ، كما قال في سورة إبراهيم : (وإن كان مكروهم لتزول منه الجبال) [إبراهيم : 46] . وقال آخرون : هذا من باب المثل ؛ لإبطال ما صنعه هؤلاء الذين كفروا بالله وأشركوا في عبادته غيره ، كما قال نوح ، عليه السلام : (ومكروا مكرا كبارا) [نوح : 46] .

22 [أي : احتالوا في إضلال الناس بكل حيلة وأمالوهم إلى شركهم بكل وسيلة ، كما يقول لهم أتباعهم يوم القيامة : (بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا) [الآية] [سبأ : 33] .وقوله : (فأتى الله بنيانهم من القواعد) أي : اجتثه من أصله ، وأبطل عملهم ، وأصلها كما قال تعالى : (كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله) [المائدة : 64] .وقوله : (فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار) [الحشر : 2] .وقال هاهنا : (فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون)